أبو منصور الأزهري
مهذِّب اللغة
(282 ـ 370هـ)

أبو مَنصورٍ الأزهريُّ، مُهذِّبُ اللُّغةِ، وصاحبُ مُعجمِ «تَهذيبِ اللُّغةِ»، وكَذلكَ صاحبُ التَّصانيفِ المَشهورةِ، عالمُ اللُّغةِ الثَّبتُ الحُجَّةُ، والفَقيهُ الثِّقةُ المُجتهدُ، مِنَ المُتقدِّمينَ الَّذِينَ أَخذوا عَلى عاتِقِهِمْ خِدمةَ اللُّغةِ العربيَّةِ، وحمايَتَها مِنَ التَّصحيفِ والخَطأ واللَّحنِ، ومِنَ الأَلفاظِ الشَّاذَّةِ والدَّخيلةِ، وتَخليصَها مِنَ الشَّوائِبِ الَّتِي عَلقَتْ بِكلماتِها وأَلفاظِها، ولَحقَتْ بِها عَلى أَنَّها مِنَ الكلامِ الَّذِي يَنطقُهُ وتَقولُهُ العربُ.

يُعتبرُ أبو مَنصورٍ الأزهريُّ مِنَ الطَّبقَةِ الثَّالثَةِ لِلمُتقدِّمينَ مِنْ عُلماءِ اللُّغةِ الَّذِينَ يُعزَى إِليهِمُ الفَضلُ الأَكبرُ في حمايَةِ اللُّغةِ العربيَّةِ وعُلومِها مِنَ اللَّحنِ والاندثارِ والضَّياعِ، فَهوَ تلميذُ عالمِ اللُّغةِ الكبيرِ «نفطويه»، وكَذلِكَ عاصرَ أبو مَنصورٍ الأزهريُّ جَهابذةَ اللُّغةِ العربيَّةِ الَّذِينَ كانوا أَئمَّةً في اللُّغةِ ـ سواءٌ كانوا مِنْ أَصحابِ المدرسةِ البَصريَةِ أَو الكوفيَّةِ ـ وأَخذَ عَنهُمْ وأَخذوا عَنهُ، أَمثالَ: ابنِ دُريدٍ، أَبي إِسحاقَ الزَّجاجِ، وأَبي العبَّاسِ المُبرِّدِ، وأَبي العبَّاسِ ثَعلبٍ، وغيرهمْ.

عاصرَ الأَزْهَريُّ ولازَمَ كِبارَ فُقهاءِ عَصرِهِ، وكَما بَرعَ في علومِ اللُّغةِ العربيَّةِ، برعَ في علمِ الفقهِ وأُصولِهِ، وصارَ مِنْ أَقطابِ المذهبِ الشَّافعيِّ في بغدادَ وفي خُرَّاسانَ، ولِبراعَتِهِ في اللُّغةِ كانَ عمدةَ الفُقهاءِ في تَفسيرِ ما يُغمُّ عليهِمْ مِنَ الأَلفاظِ اللُّغويَةِ المُتَّصلةِ بِالفِقهِ وأُصولِهِ.

وأبو مَنصورٍ الأزهريُّ مَعدودٌ مِنَ العُلماءِ العارفينَ بِعلمِ القراءاتِ القُرآنيَّةِ، فَهوَ عَلَمٌ ثَبتٌ حجَّةٌ فيها أَيضاً، ولَهُ تَصانيفُ هامَّةٌ فيها، عمدَ خِلالَها إِلى تَبسيطِ علمِ القِراءاتِ وتَسهيلِ فَهمِهِ لِلدَّارسينَ، ويُعتبرُ كتابُهُ «مَعاني القِراءاتِ» الَّذِي وَضعَهُ في ذَلكَ الحينِ، مِنْ أَروعِ ما كُتبَ وصُنِّفَ في هذا المِضمارِ، وهوَ مِنْ أَوائِلِ عُلماءِ اللُّغة والتَّفسيرِ الَّذِينَ أَطلقُوا تَسمياتٍ عَلى بَعضِ السُّورِ تَختلفُ عَنْ أَسمائِها في المصحفِ.

كما يُعتبرُ أَوَّلَ مَنْ والفَ بينَ علمِ اللُّغةِ والنَّحوِ، وبينَ عِلمِ القِراءاتِ، وهوَ يَشرحُ وجوهَ القِراءاتِ لآياتِ القُرآنِ الكريمِ، يُبيِّنُ وجوهَ إِعرابِها، ومَعاني كلماتِها ودِلالاتِها، وهوَ مَنهجٌ تَفرَّدَ فيهِ ـ كما قيلَ ـ عَمَّنْ سَبقَهُ مِنْ عُلماءِ اللُّغةِ والتَّفسيرِ والقِراءاتِ.

ومِنَ الأمورِ الَّتِي تَميَّزَ بِها أبو مَنصورٍ الأزهريُّ عَنْ باقي عُلماءِ اللُّغةِ قَبلَهُ أو في عَصرِهِ اهتمامُهُ الكبيرُ بَأسماءِ الأَماكنِ والمُدنِ والجبالِ والقُرَى وما شابَهَها، حيثُ أَوردَ في مُعجمِهِ «تَهذيبِ اللُّغةِ» الكثيرَ مِنْ هذِهِ الأَسماءِ، وتِلكَ ميزةٌ لَمْ يَسبقْهُ إِليها أَحدٌ مِنْ عُلماءِ اللُّغةِ قَبلَهُ.

فَمَنْ هوَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ، وأَينَ عاشَ، ومَنْ شيوخُهُ وتَلامذتُهُ، وما هيَ أَهمُّ معالمِ حياتِهِ؟

هذا ما سَنعرفُهُ عبرَ هذِهِ الصَّفحاتِ التَّاليَةِ.

❋ ❋ ❋

هوَ أَبو مَنصورٍ مُحمَّدُ بنُ أَحمدَ الأَزهرِ بنِ طلحةَ بنِ نوحٍ بنِ الأَزهرِ بنِ نوحٍ بنِ حاتمٍ بنِ سعيدٍ بنِ عَبدِ الرَّحمنِ الأَزهريُّ، اللُّغويُّ المَعروفُ، الشَّافعيُّ المذهبِ، الهرويُّ المَولدِ. وسُمِّيَ بالأَزهريِّ نسبَةً إِلى جَدَّيهِ الأَكبرِ والأَصغر، إِذْ كليهِما يُلقَّبانِ بِـ «الأَزهرِ».

ولِدَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ في مدينةِ (هُراةَ)[1] بِخراسانَ سنةَ (282) هجريَّةً، ونُسِبَ إِليها فقيلَ: الهرويُّ.

نَشأَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ وتَرعرَعَ في هراةَ، وتردَّدَ عَلى عُلمائِها وفُقهائِها الَّذِينَ كانوا يَعقدونَ مَجالسَ العلمِ في جامعِها الكبيرِ، حيثُ كانَتْ هُراةُ تَعجُّ بِالعُلماءِ والفُقهاءِ والقُرَّاءِ والمُحدِّثينَ في ذَلِكَ الوَقتِ.

ومِنَ الشُّيوخِ الَّذِينَ تَلقَّى عَنهُمُ «الأَزهريُّ» عُلومَهُ: أَبو الفَضلِ المُنذريُّ، وأَبو مُحمَّدٍ المُزنيُّ، وأَبو بَكرٍ الإِياديُّ الَّذِي أَثنَى عليهِ الأَزهريُّ كثيراً، وذَكرَ أَنَّهُ قرأَ عليهِ كتابَ النَّوادرِ لِلحيانيِّ، كما سَمعَ منهُ ما كَتبَهُ الكِسائيُّ في معاني وقِراءاتِ القُرآنِ، ومِنهُمْ أَحمدُ بنُ عليِّ بنِ رَزينٍ، وقرأَ عليهِ كتابَ الكسائيِّ في قِراءاتِ القُرآنِ، ومِنهُمْ أَبو بَكرٍ بنُ عُثمانَ

(1) هراة: مدينة كبيرة عامرة، وهي إِحدَى أمهات المدن في خراسان، وكان بها من فقهاء المسلمين خلق كثير وفيها بساتين وأنهار ومياه جارية، ولها أربعمئة قرية تابعة لها، وهي حلقة وصل ما بين بلاد فارس وسجستان وخراسان، افتتحها الأحنف بن قيس في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

السّجزيُّ، وقَرأَ عليهِ كتابَ أَبي حاتمٍ السّجستانيُّ في قِراءاتِ القُرآنِ، وفي ذلكَ يقولُ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ في مُقدِّمةِ كتابِهِ «تَهذيبِ اللُّغةِ»: «ما كانَ في كتابي لأَبي حاتمٍ في القُرآنِ فَهوَ مِمَّا سَمعتُهُ مِنْ أَبي بَكرٍ بنِ عُثمانَ السّجزيِّ».

وفي شَبابِهِ تَحوَّلَ «الأَزهريُّ» عَنْ هُراةَ قاصداً بَغدادَ تَلبيَةً لِطموحِهِ العلميِّ، وفورَ وصولِهِ بَغدادَ التَقَى أَبا عبدِ اللهِ إِبراهيمَ بنَ عرفَةَ المُلقَّبَ بِـ «نفطويه»، وكانَ مِنْ كبارِ أَئِمَّةِ وأَربابِ اللُّغةِ في بَغدادَ، فَلزمَهُ وصَحبَهُ فترةً طويلَةً، وتَتلمذَ عَلى يَديهِ في علومِ اللُّغةِ العربيَّةِ، كما التَقَى بِكبارِ عُلماءِ اللُّغةِ، ولَكنَّهُ لَمْ يَروِ عَنْهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ أَشارَ إِلى اجتماعِهِ بِأَبي إِسحاقَ الزَّجاجِ، وقَرأَ ما وصلَ إِليهِ مِنْ كتابِهِ في معاني القُرآنِ وإِعرابِهِ، فقالَ الأَزهريُّ: «ما وَقعَ في كتابي مِنْ تَفسيرِ القُرآنِ فَهوَ مِنْ كتابِهِ ـ يَعني: أَبا إِسحاقَ الزَّجاجِ ـ «معاني القُرآنِ»، ولَمْ أَتفرَّغْ في بَغدادَ لِسماعِهِ مِنهُ».

كما التَقَى الأَزهريُّ في بَغدادَ بِعالمِ اللُّغةِ والنَّحوِ الكبيرِ «ابنِ دُريدٍ»، ولَكنَّهُ لَمْ يَسمَعْ عَنهُ، كما اجتَمَع في بَغدادَ بِكوكبَةٍ مِنْ عُلماءِ التَّفسيرِ والفقهِ، كانَ مِنهُمْ: أبو مُحمَّدٍ عبدُ اللهِ بنُ عَبدِ الوهَّابِ البَغويُّ الَّذِي كانَ إِمامَ الفقهِ الشَّافعيِّ في العراقِ، وعبدُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ بنِ هاجكَ، وأَبو القاسمِ عبدُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ بنِ عَبدِ العزيزِ البَغويُّ، وغيرُهُمْ.

إِذاً، أَخَذَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ عُلومَ اللُّغةِ عَنْ نفطويه الَّذِي تَلقَّى عِلمُهُ بِدورِهِ عَنْ كبارِ أَئِمَّةِ اللُّغةِ في عَصرِهِ، سَواءٌ كانوا مِنَ الكوفيينَ أَو البَصريينَ.

❁ ❁ ❁

كانَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ عالِماً حاذِقاً في اللُّغةِ ومُجرَّباً، لَمْ يَعتمِدْ في تَنميَةِ مَعرفَتِهِ باللُّغةِ عَلى قِراءاتِهِ أَو سَماعِهِ مِنَ العُلماءِ وحَسب، وإِنَّما خالَطَ أَهلَ الفَصاحةِ والبَيانِ مِنْ عَربِ الباديةِ الذينَ لا يُلحنونَ في لَفظِهِمْ، ولا يُخطئونَ في لُغتِهِمْ، وكانَ ذَلِكَ مِنْ قَبيلِ الصُّدفَةِ، ومِنْ تَداعي الأَحداثِ الَّتي لَمْ يَكُنْ لَهُ فيها يَدٌ أَو حيلةٌ.

حَجَّ إِلى مَكَّةَ سنةَ (310) هجريَّةً، وهوَ في طريقِ عودتِهِ وَقعَ أَسيراً في يَدِ القَرامطةِ الَّذينَ قاموا بِثورةٍ انقلابيَّةٍ عَلى الخليفَةِ العباسيِّ المُقتدرِ بِاللهِ، واستولوا عَلى بَعضِ المُدنِ والمَناطقِ في الجزيرةِ العربيَّةِ وبِلادِ العراقِ، وقَطعوا بَعضَ الطُّرقِ الموصلةِ إِلى بَغدادَ عاصمةِ الخِلافَةِ.

ويُقالُ: إِنَّ القَومَ الَّذينَ وَقعَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ في سِهمِهِمْ مِنَ القَرامطةِ، عَربٌ مِنْ أَهلِ الباديَةِ مِنْ قَبيلَةِ هوازنَ؛ كانوا يَعيشونَ عَلى أَطرافِ مَنطقَةِ نَجدٍ، ويَتكلَّمونَ عَلى السَّجيَّةِ بِطباعِهِمُ البَدويَّةِ، فلا يَكادُ يَقعُ في كلامِهِمْ لَحنٌ أَو خَطأٌ لُغويٌّ، وقد بَقِي في إِسارِهِمْ مدَّةً طويلَةً فَأَفادَتْهُ إِقامَتُهُ الطَّويلةُ بينَهُمْ في الاطِّلاعِ الواسعِ عَلى اللُّغةِ وأَلفاظِها، وأَثبتَ أَكثرَها في كتابِهِ «تَهذيبِ اللُّغةِ».

ومِنْ ثمَّ بَعدَ القَضاءِ عَلى القرامطةِ، ومُلاحقةِ فُلولِهِمْ، وتَحريرِ مَنْ وَقعَ في إِسارِهِمْ مِنْ مُخالِفيهِمْ، عادَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ إِلى بَغدادَ سالماً وظافراً بِما أَصابَهُ مِنْ علمٍ ومَعرفَةٍ طوالَ إِقامَتِهِ في ديارِ الأَسرِ، وعَلى فَورِهِ شَرعَ في تأليفِ مُعجمِهِ «تَهذيبِ اللُّغةِ» حَتَّى إِذا ما انْتَهى مِنهُ قامَ بِعرضِهِ عَلى العُلماءِ فَأُعجبوا بِهِ ومَدحوهُ، كما تَلقَّاهُ عامَّةُ النَّاسِ وقَبلوهُ

قبولاً حَسناً لِما وَجدوا فيهِ مِنْ علمٍ نادرٍ، ومعرفَةٍ واسِعةٍ لَمْ تَكُنْ موجودةً في كُلِّ معاجمِ اللُّغةِ الَّتِي كانَتْ قَبلَهُ.

وعِندما حَقَّقَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ شهرَةً واسعةً بينَ النَّاسِ في كافَّةِ أَنحاءِ البِلادِ، ولَمعَ اسمُهُ في سَماءِ العِلمِ كَأَحدِ النُّجومِ النَّيِّرَةِ بِالعلمِ والثَّقافَةِ والعُرفانِ، عادَ إِلى مَسقطِ رأسِهِ مدينةِ (هراةَ) واشتغلَ بِتدريسِ اللُّغةِ والفِقهِ عَلى المَذهبِ الشَّافعيِّ، كما شرعَ في التَّأليفِ والتَّصنيفِ في أَوقاتِ فَراغِهِ، وما يَزالُ هذا دَأبُهُ وهو مُقيمٌ في هُراةَ لا يُغادرُها أَو يَبرحُ عَنها، حَتَّى أَدرَكَتْهُ الوفاةُ سَنةَ (370) هجريَّةً.

تَخرَّجَ عَلى يَديهِ عِدَّةُ عُلماءَ مِنْ أَعلامِ الأُمَّةِ، حَيثُ كانَتْ لَهُ مَدرسَتُهُ اللُّغويَّةُ والفقهيَّةُ في هُراةَ يَؤُمُّها طلَّابُ العلمِ والدَّارسونَ مِنْ بلادِ فارس وخُراسانَ وسجستانَ وبِلادِ السّندِ والهندِ مِمَّنْ يَرغبونَ في تَحصيلِ العلمِ الشَّرعيِّ.

وكانَ مِنَ العُلماءِ الَّذِينَ رَوَوا عَنهُ: مُحدِّثُ هُراةَ وعالِمُها المُقدَّمُ أَبو يَعقوبَ القرابُ السّرخسيُّ الهَرويُّ، والعالمُ الجليلُ أَبو سَعيدٍ محمَّدُ بنُ عليِّ بنِ عمرو ـ وهوَ الَّذِي رَوَى عَنِ الأَزهريِّ كتابَ (معاني القِراءاتِ) ـ وأَبو ذَرٍّ عبدُ اللهِ بنُ أَحمدَ الحافظُ الهرويُّ ـ وكانَ عالماً بِالحديثِ ومِنْ فُقهاءِ المالكيَّةِ، ولَهُ كتبٌ جليلةٌ في التَّفسيرِ والحديثِ ـ وأَبو عُبيدِ اللهِ أَحمدُ بنُ مُحمَّدٍ الهرويُّ صاحبُ كِتابِ (الغَريبينِ) ـ وكانَ أَديباً فاضِلاً رَوَى عَنِ الأَزهريِّ الكثيرَ مِنْ أَقوالِهِ وآرائِهِ في اللُّغةِ ومعانيها ـ.

ومِمَّا يُؤخذُ عَلى أَبي منصورٍ الأَزهريِّ تَحاملُهُ الشَّديدُ ـ كَأُستاذِهِ نفطويه ـ عَلى

الخليلِ بنِ أَحمدَ الفَراهيدِيِّ، وزَعمُهُ بِأَنَّ كتابَ (العينِ) لِلخليلِ قَدْ حَوَى الكثيرَ مِنَ النَّقصِ والأَخطاءِ، وكَذلِكَ أَيضاً تَحامُلُهُ عَلى ابنِ دُريدٍ الأَزديِّ، وزَعمُهُ أَنَّ كتابَ الجَمهرةِ لابنِ دُريدٍ قَدْ حَوَى الكثيرَ مِنَ الأَلفاظِ الَّتِي لا أَصلَ لَها في كلامِ العربِ.

❋ ❋ ❋

كانَ أَبو مَنصورٍ الأَزهريُّ عالِماً مِنْ عُلماءِ العربيَّةِ المُوسوعيينَ، فَقَدْ تركَ وراءَهُ مُصنَّفاتٍ كثيرةً في اللُّغةِ والغريبِ والقِراءاتِ، وذكَرها المُؤرِّخونَ فَبلغَتْ ثَمانيَةَ عَشرَ كتاباً مِنها: كتابُ «عِلَلِ القِراءاتِ»، وكتابُ «تَفسيرِ أَسماءِ اللهِ ﷻ»، وكتابُ «معاني شَواهدِ غَريبِ الحديثِ»، وكتابُ «تَفسيرِ شعرِ أَبي تَمَّام»، وكتابُ «الرَّدِّ عَلى الإِمامِ اللَّيثِ بنِ سَعدٍ»، وكتابُ «الزَّاهرِ في غَرائِبِ الأَلفاظِ الَّتِي تَستَعملُها الفُقهاءُ».

عَلَى أَنَّ أَهمَّ وأَشهرَ مُؤلَّفاتِهِ قاطبةً كتابا تَهذيبِ اللُّغةِ ومَعاني القِراءاتِ، وسَنتحدَّثُ عَنهُما بِشيءٍ مِنَ التَّفصيلِ:

1 ـ مَعاني القِراءاتِ: وهوَ كتابٌ مُعتبرٌ ومُعتمدٌ عِنْدَ العُلماءِ، ومَعدودٌ عِندَهُمْ في جملَةِ كُتُبِ الأُصولِ الَّتِي صُنِّفَتْ في علمِ القِراءاتِ القُرآنيَّةِ، وقَدِ استَسقَى الأَزهريُّ مادَّتَهُ في هذا الكتابِ، مِنْ كتابِ «السَّبعةِ في القِراءاتِ» لابنِ مُجاهدٍ، كما كانَ عُمدَتَهُ في تَأليفِهِ أَيضاً كِتابا «مَعاني القُرآنِ وإِعرابِهِ» للزَّجَّاجِ، و«مَعاني القُرآنِ» لِلفرَّاءِ، وتَوخَّى فيهِ السُّهولَةَ والتَّبسيطَ، وتَفرَّدَ فيهِ عَنْ سابقيهِ بِالاستعانَةِ بِالشَّرحِ اللُّغويِّ والتَّخريجِ النَّحويِّ في إِيضاحِ عِللِ كُلِّ قِراءَةٍ مِنْ آيِ الذِّكرِ الحكيمِ.

قالَ أَحدُ الباحثينَ المُعاصرينَ: وممَّا يُحمَدُ للأَزهريِّ في هذا الكتابِ أمانتُهُ العلميَّةُ وإشارَتُهُ إلى لُغاتِ القبائلِ العربيَّةِ أو لَهجاتِها كلَّما اسْتَدعَى السِّياقُ لِذَلكَ، وشَرح دِلالاتِ الألفاظِ وتَأصيلها، إلى جانبِ تَقييدِ بعضِ الأحكامِ الفقهيَّةِ الَّتِي تُسهمُ في إيضاحِ ما يُحيطُ بالآيةِ مِن مُتَمِّماتِ تَفسيرِها.

2 ـ كتابُ تَهذيبِ اللُّغةِ: وهوَ مُعجمٌ مُؤلَّفٌ مِنْ عَشرةِ أَجزاء، وهوَ مِنْ أَطولِ مَعاجم اللُّغةِ العربيَّةِ وأهمِّها وأَكثرِها دِقَّةً وتَرتيباً، حاولَ فيهِ الأَزهريُّ جمعَ شَتاتِ اللُّغةِ بَعدَ أَنْ رحلَ وقابَلَ وشَافَهَ كثيراً مِنَ العربِ الموثوقِ بعربيَّتِهِمْ، مِنْ أَجلِ جَمعِ هذِهِ المادَّةِ اللُّغويَّةِ الرَّائِعةِ المَعروفةِ بِاسمِ «تَهذيبِ اللُّغةِ»، هذا وقَدْ أَثنَى كثيرٌ مِنَ العُلماءِ المُتقدِّمينَ والمُتأَخِّرينَ على هذا المُعجمِ اللُّغويِّ، فَمثلاً مَدحَهُ ابنُ مَنظورٍ بَعدَ أَنْ أَوردَ في مُعجمِهِ «لِسانِ العربِ» ما انطَوَى عليهِ «التَّهذيبُ» مِنْ مادَّةٍ لُغويَّةٍ قَيِّمَةٍ، وأَثنَى في مُقدِّمةِ لِسانِ العربِ عَلى الأَزهريِّ فَقالَ: «لَمْ أَجِدْ في كُتبِ اللُّغةِ أَجملَ مِنْ تَهذيبِ اللُّغةِ لأَبي مَنصورٍ مُحمَّدِ بنِ أَحمدَ الأَزهريِّ».

ويَقولُ أَحدُ الباحثينَ المُعاصرينَ مادحاً ما قَدَّمَهُ الأَزهريُّ في التَّهذيبِ مِنْ مادَّةٍ لُغويَّةٍ ثَريَّةٍ: جمعَ الأَزهريُّ في «تَهذيبِ اللُّغةِ» كثيراً منَ النُّصوصِ اللُّغويَّةِ ونَسبَها إلى أَصحابِها وصَحَّحَ مُصَحَّفَها وأَودَعَهُ فَوائِدَ لُغويَّةً نَفيسَةً، وذَكرَ في مُقدِّمتِهِ العُلماءَ الَّذِينَ أَخذَ عَنهُمْ وجَعلَهُمْ طبقاتٍ، كما عُنيَ بِذكرِ البُلدانِ والمواضعِ والمياهِ عنايَةً كبيرةً، حَتَّى عُدَّ كتابَهُ مِنْ أَصحِّ المَصادرِ في هذا الموضوعِ.

ويَذكرُ الأَزهريُّ في مُقدِّمةِ التَّهذيبِ الدَّوافعَ الَّتِي دَفَعتْهُ إِلى تأليفِهِ، فَيقولُ ما نَصُّهُ: «ولَقَدْ دعاني إِلَى ما جَمعتُ في هذا الكتابِ مِنْ لُغاتِ العربِ وأَلفاظِها خِلالٌ ثَلاثٌ:

مِنها: تَقييدُ نُكتٍ حَفظْتُها ووَعَيتُها مِنْ أَفواهِ العربِ الَّذِينَ شاهدتُهُمْ وأَقَمتُ بينَ ظَهرانيهِمْ؛ إِذْ كانَ ما أَثبَتَهُ كثيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغةِ في الكُتبِ الَّتِي أَلَّفوها والنَّوادرِ الَّتِي جَمعوها لا يَنوبُ منابَ المُشاهدةِ ولا يَقومُ مقامَ الدِّرايَةِ والعادةِ.

ومِنها: النَّصيحةُ الواجبةُ عَلى أَهلِ العلمِ لِجماعةِ المُسلمينَ في إِفادَتِهِمْ في ما لعلَّهمْ يَحتاجونَ إِليهِ. وقَدْ رَوينا عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**أَلا إِنَّ الدِّينَ النَّصيحَةُ للهِ ولِكتابِهِ ولأَئمَّةِ المُسلمينَ وعامَّتِهِمْ**».

والخلَّةُ الثَّالثَةُ الَّتِي لَها أَكثرُ القَصدِ، أَنِّي قَرأْتُ كُتُباً تَصدَّى مُؤلِّفوها لِتَحصيلِ لُغاتِ العربِ فيها مثل كتابِ العينِ المَنسوبِ إِلى الخَليلِ، ثُمَّ كُتُبِ مَنْ حَذا حَذوَهُ في عَصرِنا. هذا وقَدْ أَخلَّ بِها ما أَنا ذاكرُهُ مِنْ دَخلِها وعَوارِها. وأَلفَيتُ طُلَّابَ هذا الشَّأنِ مِنْ أَبناءِ زَمانِنا لا يَعرفونَ مِنْ آفاتِ الكُتبِ المُصحَّفَةِ المَدخولَةِ ما عَرفتُهُ، ولا يُميِّزونَ صَحيحَها مِنْ سَقيمِها كما مَيَّزتُهُ.

وكانَ مِنَ النَّصيحةِ الَّتِي التَزمتُها تَوخِّياً لِلمَثوبَةِ مِنَ اللهِ عليها أَنْ أَنضَحَ عَنْ لُغةِ العربِ ولِسانِها العربيِّ الَّذِي نَزلَ بِهِ الكتابُ وجاءَتْ بِهِ السُّنَنُ والآثارُ».

ورغمَ ذَلكَ التَّحاملِ الشَّديدِ الَّذِي شَنَّهُ الأَزهريُّ عَلى الفَراهيديِّ وكتابِهِ «العينِ» إِلَّا أَنَّهُ

اتَّبَعَ أَثرَهُ ومَنهجَهُ في تَرتيبِ مُعجمِهِ «تَهذيبِ اللُّغةِ» فَرتَّبَهُ وفقَ مَخارجِ الحروفِ عَلى نَهجِهِ، ولَكنَّهُ خالفَهُ في أمورٍ، مِنها التَّفريقُ بينَ المُعتلِّ والمَهموزِ.

ويُقالُ: إِنَّ الأَزهريَّ قَصدَ مِنْ تَسميَةِ مُعجمِهِ «تَهذيبِ اللُّغةِ» نَفيَ ما أُدخلَ عَلى لُغةِ العربِ مِنَ الأَلفاظِ المُصحَّفةِ غيرِ الفَصيحةِ وتَهذيبِها، وحرصَ على أنْ يودعَهُ ما صَحَّ لَهُ سماعاً مِنْ لُغةِ العَربِ.

الأسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا أخذَ الأَزهريُّ عَلى عاتِقِهِ؟

2 ـ ماذا كانَ الأَزهريُّ يُفسِّرُ لِلفُقهاءِ، ولِماذا؟

3 ـ ماذا كانَ يفعلُ الأَزهريُّ وهوَ يَشرحُ وجوهَ القِراءاتِ لآياتِ القُرآنِ الكريمِ؟

4 ـ لِماذا لُقِّبَ الأَزهريُّ بِهذا الاسمِ، ولِماذا لُقِّبَ بِالهرويِّ؟

5 ـ هَلِ اعتمدَ الأَزهريُّ في تَنميَةِ مَعرفَتِهِ بِاللُّغةِ عَلى قِراءاتِهِ أَو سَماعِهِ مِنَ العُلماءِ فَقَط؟ بيِّنْ ذَلِكَ بِالتَّفصيلِ.

6 ـ لِماذا تَلقَّى النَّاسُ مُعجمَ تَهذيبِ اللُّغةِ وقَبلوهُ قبولاً حَسناً؟

7 ـ مِنْ أينَ اسْتَسقَى الأَزهريُّ مادَّةَ كتابِهِ معاني القراءاتِ؟